

روح المعاني

وصح لهم صفاء الأوقات تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بمقتضى استعلاء أنوار إستعداداتهم منهم من كلم الله عند تجليه على طور قلبه وفي وادى سره ورفع بعضهم درجات بفنائهم عن ظلمة الوجود بالكلية وبقائه في حضرة الأنوار الآلهية وبلوغه مقام قاب قوسين وظفره بكنز فأوحى إلى عبده ما أوحى من أسرارهم المنشآت حتى عاد وهو نور الأنوار والمظهر الأعظم عند ذوى الابصار وآتينا عيسى ابن مريم البيئات والآيات الباهرات من إحياء أموات القلوب والأخبار عما يدخر في خزائن الأسرار من الغيوب وأيدناه بروح القدس الذي هو روح الأرواح المنزه عن النقائص الكونية والمقدس عن الصفات الطبيعية ولو شاء الله ما أقتتل الذين جاءوا من بعدهم بسيوف الهوى ونبال الضلال من بعد ما جاءتهم من أنوار الفطرة وإرشاد الرسل والآيات الواضحات ولكن اختلفوا حسبما اقتضاه إستعدادهم الأزلى فمنهم من آمن بما جاء به الوحي ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اختلفوا عن اختلاف بأن يتحد إستعدادهم ولكن الله يفعل ما يريد ولا يريد إلا ما في العلم وما كان فيه سوى هذا الاختلاف يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ببذل الأرواح وإرشاد العباد من قبل أن يأتي يوم القيامة الكبرى لا بيع فيه ولا تبدل صفة بصفة فلا يحصل تكميل النشأة ولا خلة لظهور الحقائق ولا شفاعة للتجلي الجلالى ولكافرون هم الذين ظلموا أنفسهم بنقص حظوظها وما ظلمناهم إذ لم نقص عليهم سوى ما اقتضاه إستعدادهم الغير المجعول لا إله في الوجود العلمى إلا هو الحي الذي حياته عين ذاته وكل ما هو حي لم يحي إلا بحياته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل ما يقوم به وقيل : الحي الذي ألبس حياته أسرار الموحدين فوجدوا به والقيوم الذي ربي بتجلي الصفات وكشف الذات أرواح العارفين ففنوا في ذاته واحترقوا بنور كبريائه .

لا تأخذه سنة ولا نوم بيان لقيوميته وإشارة إلى أن حياته عين ذاته له ما في سموات الأرواح وأرض الأشباح فلا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن ولا يخطر خاطر في بر أو بحر وسر أو جهر إلا بقدرته وإرادته وعلمه ومشئته من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه إذ كلهم له ومنه واليه وبه يعلم ما بين أيديهم من الخطرات وما خلفهم من العثرات أو ما بين أيديهم من المقامات وما خلفهم من الحالات أو يعلم منهم ما قبل إيجادهم من كمية إستعدادهم وما بعد إنشائهم من العمل بمقتضى ذلك ولا يحيطون بشئ من معلوماته التى هى مظاهر أسمائه إلا بما شاء كما يحصل لأهل القلوب من معانيات أسرار الغيوب وإذا تقاصرت الفهوم عن الإحاطة بشئ من معلوماته فأى طمع لها في الإحاطة بذاته هيئات هيئات أنى لخفاش الفهم أن يفتح عينه في شمسها تيك الذات ! وسع كرسيه الذي هى قلب العارف السموات والأرض لأنه معدن العلوم الآلهية

والعلم اللدنى الذي لا نهاية له ولا حد ومن هنا قال أبو يزيد البسطامي : لو وقع العالم ومقدار ما فيه ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به وقيل : كرسيه عالم الملكوت وهو مطاف أرواح العارفين لجلال الجبروت ولا يؤده ولا يثقله حفظهما في ذلك الكرسي لأنهما غير موجودين بدونه وهو العلى الشأن الذي لا تقيده الأكوان العظم الذي لا منتهى لعظمته ولا يتصور كنه ذاته لإطلاقه حتى عن قيد الإطلاق لا إكراه في الدين قيل : إن هذه إلى قوله سبحانه : خالدون من بقية آية الكرسي والحق أنها ليست منها بل هي كلمة مستأنفة جيء بها إثر بيان دلائل التوحيد للإيدان بأنه لا يتصور الإكراه في الدين لأنه في الحقيقة إلزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه والدين خير كله والجملة على هذا خبر بإعتبار